

الترجمة ومفارقات الهوية

Translation and Identity paradoxes

لطيفة عميرة^{1*}

مختبر الميثاقفة العربية في الأدب ونقده

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، محمد لمين دباغين – سطيف2، الجزائر.

تاريخ الإرسال: 2017-04-09 تاريخ القبول: 2019-06-24 تاريخ النشر: 2020/01/16

الملخص:

لقد أصبحت الترجمة، في هذه القرية الكونية، فعل ضرورة بعد أن كانت فقط ممارسة ممكنة في سعيها الدؤوب إلى تبني سبل التقارب بين الأمم والشعوب. فالمترجم يسعى في عمله إلى تقريب النص الأصلي إلى القارئ – الآخر -محاولاً تذليل الصعوبات من غير أن يدعي توصيل كل ما جاء في هذا النص الأصلي من مقاصد ومعان حتى وإن أراد ذلك.

إن غاية كل ترجمة هي تقريب المعاني المرتبطة بشكل وثيق بالثقافة التي نتج داخلها هذا النص، أي تقريب روح النص كُتبت بلغة أخرى في مجال تداولي مغاير لقارئ آخر ينتهي إلى مجال تداولي مختلف؛ وعليه فإنّ عملية الفهم لا تتم إلا بواسطة اللغة-لغة مزدوجة – فهو يحدث فيها وبها.

فالمترجم الذي يستطيع التعبير عن معطيات النص الأصلي عن طريق لغة يستوحها من لغته الأم –اللغة المنقول إليها – يكون قد وُفق أيما توفيق في عمله التقريبي.

والإشكال الذي نسعى، من خلال هذا البحث الإجابة عنه، يتمحور حول دور الترجمة في التقريب بين الهويات، بين النص الأصلي والنص المترجم، بين المنقول والمأصول أو بتعبير آخر كيف ترفع الترجمة المفارقة في اللغة بين الخاص والغريب، بين الإخلاص والحرية بين المطابق والمختلف

كلمات مفتاحية: الترجمة، الهوية، الغيرية، الحوار، الاعتراف

Abstract The paradigm of translation is taking on increasing importance within cultural diversity and multilingualism; consequently, we are confronted in translation with the problems of identity and otherness.

By admitting and assuming the irreducibility of the pair of own and foreign, the translator finds his reward in recognizing the status unassailable Of dialogicity Of the act of translating as the reasonable horizon of the desire to get along and to approach the other without erasing its otherness for the purposes of a new universalism respectful of differences.

Keywords: translation - identity - alterity - recognition – dialogue

مقدمة: لقد أصبحت الترجمة، في هذه القرية الكونية، فعل ضرورة بعد أن كانت فقط ممارسة ممكنة في سعيها الدؤوب إلى تبني سبل التقارب بين الأمم والشعوب. فالمترجم يسعى في عمله إلى تقريب النص الأصلي إلى القارئ – الآخر -محاولاً تذليل الصعوبات من غير أن يدعي توصيل كل ما

* – الباحثة المرسلة: latifaamira66@yahoo.fr

جاء في هذا النص الأصلي من مقاصد ومعان حتى وإن أراد ذلك وهو ما عبر عنه ستاينر بقوله: "إننا إذ نتحرك بين اللغات ونترجم، نكتشف توق الفكر الإنساني إلى الحرية".¹ إن غاية كل ترجمة هي تقريب المعاني المرتبطة بشكل وثيق بالثقافة التي نتج داخلها هذا النص، أي تقريب روح النص كُتب بلغة أخرى في مجال تداولي مغاير لقارئ آخر ينتمي إلى مجال تداولي مختلف؛ وعليه فإنّ عملية الفهم لا تتم إلا بواسطة اللغة-لغة مزدوجة - فهو يحدث فيها وبها.

فالمترجم الذي يستطيع التعبير عن معطيات النص الأصلي عن طريق لغة يستوحها من لغته الأم - اللغة المنقول إليها - يكون قد وُفق أيما توفيق في عمله التقريبي "فكل نص يترجم يجعل الطالب أمام صورة للآخر" على حد تعبير آني بورجوا.²

والإشكال الذي نسعى، من خلال هذا المقال، الإجابة عنه، يتمحور حول دور الترجمة في التقريب بين الهويات، بين النص الأصلي والنص المترجم، بين المنقول والمأصول أو بتعبير آخر كيف ترفع الترجمة المفارقة في اللغة بين الخاص والغريب، بين الإخلاص والحرية، بين المطابق والمختلف، فالهوية بالأساس مفهوم حمّال أوجه فهناك الهوية بالعدد، والهوية بالصفات، والهوية الشخصية، والهوية الجماعية، كما أنه حمّال آمال ورغبات وأوهام، فالتسليم بالهوية كوحدة وثبات تعبير عن الرغبة في الاستمرار والبقاء وطمع في التميّز بالاستقلال الذاتي وحرية الإرادة.

ومن ثمّ، نجد أنّ لفظ الهوية يشير، في بادئ الرأي إلى الذات في حضورها ووحدتها وثباتها واستمرارها وتفردتها، حيث إنّ الهوية -identité- تتحدد، عموماً، بأنها "مجموع الصفات التي تقوم الشيء أو الشخص بشكل أساسي، أي أنّها مجموع الخاصيّات التي تجعل الشيء أو الشخص مماثلاً لنفسه أو هو نفسه soi- même، بحيث يكون موجوداً وقائماً بذاته بما هو حقيقة يُمكن تصورها بالذهن، أي ماهية un essence، حقيقة هي أساس وجوده الفعلي، أي جوهر substance

ولذا، فإنّ النظر إلى الإنسان ككائن له هوية يجعله يتحدد بجملة من الخصائص الأساسية والجوهرية التي تُقوِّمه ذاتياً وتُميّزه نوعياً على النحو الذي يُعطيه، قيمة الشخص كذات أخلاقية (عليها واجبات وقانونية (لها حقوق).¹

¹ Steiner George, Après Babel, traduit par Lucien Lotringer, Paris: Albin Michel, 1978, p437

² Annie Bourgeois, Le non-sens ont-ils du sens?, dans :M. Ballard, la traduction à l'université ,ouvrage collectif, Lille:P.U.L.,1993,p30.

ولعل أبرز نوابض هذا الانتماء تتجلى في اللغة والثقافة والدين كما عبر عنه الفيلسوف الألماني يوهان غوتليب فيخته في كتابه "نداء إلى الأمة الألمانية": "إن وجود أمة من الأمم بوجود إنيتها التي هي شخصيتها وإن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة الدين اللغة وحب الوطن"² فاللغة إذن هي رمز وجود الأمة ، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد أشتات وحسب. إن اللغة هي التي تكون الإنسان وليس العكس وهي التي تؤثر فيه وليس العكس ، فهي صدى روح الأمة وتؤثر في التصورات وتصبغ عليها معان وألوانا، وتعكس عليها أشعة أو ظلالا خاصة بها هي التي تجعل الإنسان إنسانا، وليس مجرد أداة يعبر بها الإنسان عن نفسه، بل هي الطبيعة الإنسانية التي تبرز منه في شكل أصوات، هي صدى الروح بما تحمله من شحنات عاطفية، وتصورات، ومفاهيم، وذكريات مشتركة حيث يتفاهم الإنسان مع من يشاركونه نفس التصورات، ونفس المفاهيم والطبائع والتقاليد والعادات والذكريات مع مواطنيه، ولو كانوا ولدوا في قارات أخرى غير قارته³.

فاللغة هي الجنسية وهي جوهر الإنسان والمكون الأساسي لهويته، إلا أنه للغة وظائف أخرى متعددة، تتراوح من مجرد الإفادة عند التخاطب إلى نقل واكتساب المعرفة المتخصصة ومن أهم هذه الوظائف تبليغ الأفكار والتأثير في النفس واحتواء المخزون الثقافي التراثي لتكلمها "فالرهان الحقيقي لا يكمن في الوصول إلى المعلومات بل يتمثل في إنتاج المعلومات والتحكم في محتواها وحمولتها الثقافية ومرجعيتها الأخلاقية والفلسفية"، نحن لغة بمعنى أن ما يميزنا كأشخاص هو أننا كائنات واعية بذاتها "فاللغة تقول الإنسان" على حد تعبير هيدغر⁴. بل اللغة بحسب هيدغر حقيقة مستقلة بنفسها تستعمل نفسها، ولا يستعملها غيرها بحيث تكون هي المتكلمة وليس الإنسان⁵، بل يكون الإنسان في هذه الحالة مستمعا واللغة متكلمة، من غير أن يدرك هذا الإنسان كل ما تنطق به هذه اللغة، ذلك لأنها من هذا الجانب ليست مجموعة من

¹ عبد الجليل الكور، تساؤلات التفلسف وتضليلات اللغوى، الأردن، إريد: عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2013، ص 76 و77.

² انظر مولود قاسم نايت بلقاسم، "أصالية أم انفصالية"، مجلة الأصالة، العدد 65/66، (صفر - ربيع الأول 1399هـ/ جانفي - فيفري 1979)، ص 367.

³ المرجع نفسه ص 370.

⁴ Martin Heidegger, Etre et Temps, traduit par François Verzin, Paris : Gallimard, 1986, p 212.

⁵ Martin Heidegger, Essais et conférences, traduit par André Préau, Paris : Gallimard, 1958, p 172

الألفاظ والمباني تملأ بها المضامين والمعاني، وعلى هذا الأساس تصبح اللغة سببا يُخرج الأشياء إلى الوجود وتصير هي نفسها مأوى الوجود الذي ينحجب بقدر ما ينكشف ويزدوج بالمعدوم بقدر ما ينفصل عنه¹

وهنا تكمن أهمية اللغة بالنسبة للترجمة لأنها بذلك تكون أداة لتناقل المعارف إن هي أحسن استغلال مواردها، ففن الترجمة، كما اعترف به الكثير، ليس اقل صعوبة من التأليف فربما كانت الترجمة أصعب بكثير. وهناك قول لدى الفرنسيين: الترجمة خيانة (traduire c'est trahir)، وهناك قول آخر لدى الألمان يقول "إن الترجمة كالمرأة إما جمال وجفاء أو دمامة ووفاء"، فالترجمة إذن إما أن تكون جميلة فهي بالضرورة غير وفية لأنها تتحرر من الأصل وتصوغه صيغة بعيدة عن الأصل وتنطلق على هواها، أو تكون وفية (ملاصقة للنص، للأصل) فهي بالتالي ليست جميلة.

فما هو السبيل إذن إلى الجمع بين الجمال والوفاء فتبتعد الترجمة عن الدمامة والجفاء؟ هذا ما حاول القيام به العديد من الفلاسفة والأدباء الذين خاضوا أو ناقشوا مسألة الترجمة وأبرزهم: غادامير: من خلال كتابه "حقيقة ومنهج" vérité et méthode، وبول ريكور: من خلال كتابه المعنون بـ "" في الترجمة "" sur la traduction، وأنطوان برمان من خلال كتابيه: "الترجمة والحرف" la traduction et la lettre و" إقامة البعيد" L'auberge du lointain.

1- غادامير: الترجمة وفعل التأويل

ينطلق غادامير في تبيان أهمية الترجمة وصعوبتها من خلال تعريفه للترجمة بأنها "فعل تأويلي" يرتبط أساسا بما أسماه الخبرة التأويلية « L'expérience herméneutique »، والفهم التأويلي la compréhension herméneutique، والحوار التأويلي "Le dialogue herméneutique". فلماذا ربط غادامير الترجمة بالتأويل أو الهرمينوطيقا؟ لقد تعرض غادامير في معرض مراجعة النظرية التأويلية لعدة مفاهيم بنى عليها نظريته الخاصة في التأويلية وعلى رأسها مفهوم التأويل ومفهوم الحوار:

التأويل: بالنسبة لصاحب "الحقيقة والمنهج" كل فهم تأويل²، غير أن التأويل ليس استخراجا لمعنى موضوعي وخارجي مستقل به النص، وإنما هو دخول في إنشاء خاص يتحدد به معنى النص، وفي هذه الحالة لا يدخل المؤول في تعامله مع النص بالنظر المجدر، وإنما يستمع إليه استماعا

¹ Martin Heidegger, Etre et Temps, op.cit.p209

² Hans- Georg Gadamer, Vérité et méthode, Paris, Edition du Seuil, 1976, p148, 235 et 247.

حيا، فيتوجه إليه بأحواله الحاضرة وتصوراتها المكتسبة من غير ان تضر هذه الأحوال والتصورات الخاصة في شيء هذا الاستماع، فهي زائلة مع حصول الفهم المطلوب¹.

الحوار: يذهب غادامير إلى أن كل تأويل هو ذو طبيعة لغوية، فلا فهم إلا فهم لغوي، غير أن اللغة بالنسبة لغادامير ليست مجرد أداة أو قل وسيلة يتوصل بها الإنسان في التعبير عن أغراض خارجية، وإنما هي في أساسها حقيقة حوارية يتواجه فيها عالمان لغويان مختلفان يصيران تدريجيا إلى التداخل فيما بينهما، فينشأ عن هذا التداخل لغة جديدة – متجددة تحمل معاني غير مسبقة، وبهذا يكون الفهم في الأخير عبارة عن تفاهم.

وعلى أساس هذين المفهومين، التأويل والحوار، يصل غادامير إلى الربط بين فلسفته التأويلية والترجمة، فكل من الترجمة والفلسفة فهم تأويلي، التأويليات لدى غادامير هي سمة شاملة للفلسفة، فلا انفكاك بينهما، وما الفلسفة إلا تأويل لنصوص الماضي أو قل للتراث الفلسفي، كما أن الترجمة هي الأخرى تأويل² لأن المترجم وإن لزمه حفظ الأصل، لا يسعه إلا أن يبرزه بوجه غير الوجه الأصلي حتى يتأتى فهمه في عالم لغوي يختلف عن عالمه³.

ولما كانت الترجمة تأويلا فإنها تظل عملا يعيد إنشاء النص وخلق، ولو بلغ فيه المترجم النهاية في تمثيل حياة المؤلف وأحواله⁴ غير أن هذا الخلق الجديد يصاحبه الشعور الذي يفصل النقل عن الأصل وبالقصود عن مبلغ المؤلف في أداء المقصود.

إن الأصل اليوناني للفظ "هرمينوطيقا" يوحي بعملية الافهام وخاصة حين تشتمل هذه العملية على اللغة، وهذا الافهام هو العنصر المشترك في الاتجاهات الثلاثة الأساسية للفعل يؤول في اليونانية وهي: يعبر أي يقول أو يتلو، أو يشرح، أو يترجم في حالة اللغة الأجنبية⁵. فلا تعدو الترجمة أن تكون شكلا من أشكال التأويل، وصورة من صور الافهام، فالعملية التأويلية الأساسية قائمة بتمامها في الترجمة. فالمرء، في عملية التأويل، يأتي بشيء أجنبي أو غريب غير مفهوم ويسلكه في وسيط لغته، والمترجم شأنه شأن هرمس، يتوسط بين عالم وآخر⁶.

¹ Ibid. p329.

² Ibid. 230.

³ Ibid.p233.

⁴ Ibid.p232

⁵ Jean Grondin, L'Herméneutique, 3eme édition, Paris : P.U.F,2011, p9.

⁶ Ibid.P10

1- الخبرة التأويلية «L'expérience herméneutique»

يقصد بالخبرة التأويلية في مصطلحات غادامير تحديدا " ما يشتمل على استخبار التراث، ويتحدث غادامير عن المواجهة التأويلية مع التراث بقوله: " لا يعدو التراث محض أطراد عرفه المرء من خلال الخبرة ويتعلم السيطرة عليه، بل هو اللغة التي يمكن القول عنها أنها تتحدث من داخلها وكأنه أنت، عندها يكون التراث بعيدا عن كونه موضوعا، بل يكون شديد الشبه بالشخص الآخر في الحوار" ¹ ويضيف: " إنّ الذي يتم في الخبرة التأويلية هو فعل " الاتصال " ويكون المشاركون موجودين في عالم المعاني المشتركة سابقا أي أنهم بعبارة أخرى يشتركون بلغة ما " ².

وقد لاحظ بول ريكور أنّ جلب الخبرة الى اللغة، ليس تغييرا لها إلى شيء آخر، بل إنّنا حين ننطقها ونثرها، فإنّما نجعلها تصبح ذاتها. ³ ورغم ان الخبرة تمثل لنا من خلال الدلالة، فان الخبرة ليست مجرد لغة او مجرد أنساق دالة بصفة عامة، إنّ الخبرة سابقة على عملية الدلالة وإن تكن الدلالة هي التي تأتي بالخبرة الى حيز المعنى، وفي حين إنّ الدلالة تجعل الخبرة تصبح ذاتها فإنّ هناك فائضا من المعنى للوجود ف" نحن وجود في العالم" على حد قول هيدغر. ⁴

2- الفهم التأويلي «la compréhension herméneutique» : ينطلق وصف غادامير للفهم التأويلي من ظاهرة أساسية وهي علاقة " أنا – أنت " فاستنادا على الخبرة التأويلية فان علاقة (أنا- أنت) تتخذ أشكالا ثلاثة :

أولا: يتم في الشكل الأول تصنيف الشخص وفق نوع الأفكار التي يكونها عن الآخرين بصفة عامة وتقليدية، إذ يرى غادامير أنّه بفضل الطبيعة اللغوية لكل تفسير، فإنّ كل تفسير ينطوي على إمكان نشوء علاقة مع الآخرين، فما من قول أو حديث إلا وهو يربط بين الخاطب والمخاطب. فعندما يفهم المرء شخصا آخر، فإنّه يتمثل قوله حتى ليصبح هذا القول قول المرء نفسه، ويعيش أطول أمد ممكن في سياقات المرء ورموزه. ⁵

ثانيا : الشكل الثاني لعلاقة (أنا – أنت) فهو أكثر تأملية من الأول إذ يتم الاعتراف بأنّ " ذاتية الآخر لا تنتزع بل تبقى للآخر راديكاليا، وإن هذا الاعتراف بأخرية/غيرية الآخر يجعل من الخبرة

¹ Hans- Georg Gadamer, vérité et méthode, op.cit. p202.

² Ibid. ,p202

³ Grondin, op.cit.pp79-92.

⁴ Etre et temps, op.cit.p86

⁵ Vérité et méthode, op.cit.p204

التأويلية لأخريه الماضي الراديكالية شيئا ملازما للاعتراف " ¹ ، ويصنف هذا الشكل من الخبرة التأويلية عند غادمير في خانة " الوعي التاريخي " ، واستخدام كلمة " تاريخي " هي تذكير بأنّ النَّفس كيان ثقافي وأن المعنى هو شيء مسيد بالعلامات، وأن آفاق المرء يحددها الوجود الثقافي للمرء، وأن العالم بطبيعته متغير وقابل للتغيير. وهذا ما عبر عنه فالديس في " الهرمينوطيقا الفينومينولوجية ودراسة الأدب " بأنّ النَّص يتكون من: الشكل، والتاريخ، وخبرة القراءة، والتأمل الذاتي للمؤول ².

فالإنسان يعيش في العالم، وفي التاريخ، وفي الشهادة، ولا يعيش في كون آخر، وكل معنى متعلق بوجود تاريخي عيني محدد، معنى مرتبط بتاريخية معينة، منسوب لها، ومحمول عليها، ومسند إليها، فثمة إذن حد لعالمنا.

ثالثا: أما الشكل الثالث من الخبرة التأويلية فهو يختلف عن الشكلين الأولين لأنه لا يتعامل مع الماضي بوصفه موضوعا يمكن تصنيفه إلى خصائص ولا زمنا آخر ينطوي على قيم ما عاد الحاضر يشاطره إياها، بل انه يدع التراث يتكلم للحاضر ويدرك أن ذلك الكلام هو إخبار الحاضر بشيء عن نفسه. ويطلق غادمير على هذا الشكل تسمية " الوعي التأويلي " ويقصد به وعي يمثل التاريخ الذي مازال فعالا (التاريخ الفعال) ³.

ويُعد الشكل الأخير، بالنسبة لغادمير، أكثر مصداقية في علاقة (أنا - أنت) لأنه لا يعامل الشخص الآخر بوصفه موضوعا أو وسيلة ولا يحاول التسيّد على الآخر، بل يكون المرء منفتحاً على الشخص الآخر بسبب ما يريد قوله، ويؤكد أنه من غير الممكن وجود اتصال إنساني حقيقي من غير هذا الانفتاح. " إن انتماء أحدهم إلى الآخر يعني في الوقت نفسه القدرة على سماع أحدهما الآخر دائما " ⁴.

وعليه فالفهم هو شكل من أشكال الحوار دائما فهو حدث اللغة الذي يحدث فيه الاتصال. أما الفهم التأويلي فهو ظاهرة اللغة بالمعنى الأوسع الذي يحضر فيه التراث الثقافي ذاته بوصفه لغة وكثيرا ما يحضر بوصفه نصوصا مكتوبة.

إنّ الترجمة أو تأويل النصوص يعني الدخول في حوار معها ويحدث الفهم عندئذ بوسيلة اللغة ويتصف هذا الفهم بما يسميه غادمير " التلسين " ، وبالتالي لا يضطر المؤول أو المترجم إلى

¹ Ibid. p 205.

² عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، القاهرة دار رؤية، ط1، 2007، ص20.

³ Ibid. P206

⁴ Ibid. p207.

ردم فجوة بين الماضي والحاضر (أي بين النص الأصلي والمترجم)، كما لا يحتاج إلى افتراض مصطلح ثالث مثل مصطلح التقمص (Empathie) لغرض تقديم آصرة مشتركة بين المؤلف والقارئ "لأنّ النصّ والتأويل جزء من عملية اللغة المستمرة وتتولد المعاني وتشكل تاريخا للآثار يبرز فيه التأويل الحاضر ويساهم به أيضا".¹

انطلاقا من الخبرة التأويلية، ومرورا بالفهم التأويلي، ووصولاً إلى الوعي التأويلي ينصهر أفق المؤلف في أفق القارئ، وتتلاشى الاختلافات بين النص الأصلي والمطابق، الخاص والغريب، الوفاء والحرية.

2- بول ريكور وأنموذج الترجمة

يُعرّف بول ريكور الهرمينوطيقا بقوله " الهرمينوطيقا (التأويليات) هي المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم وخاصة فيما يتعلق بتأويل النصوص".²

فالمهمة الأساسية للتأويليات بالنسبة لبول ريكور مهمة مزدوجة، وتتمثل المهمة الأولى في إعادة بناء الحيوية الداخلية للنص، أمّا المهمة الثانية فإنها تتمثل في استرداد قدرة العمل – النص-على النزول إلى الخارج لتصوير العالم الذي يمكن أن نسكن فيه.³

أمّا الترجمة التي يعتبرها ريكور فعلا تأويليا بامتياز فهي توقع صاحبها فيما أسماه ب: نموذج الترجمة «Le paradigme⁴ de la traduction»، الناتج عن الرغبة الملحة لدى المترجم للجمع بين المتناقضات: الوفاء أو الخيانة، الخاص أو الغريب، الأصلي أو المطابق لأن الترجمة عند بول ريكور ليست عملا فكريا، ولا نظريا ولا حتى تطبيقيا بل هي مشكلة أخلاقية un problème éthique.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا استبدل ريكور الترجمة كعمل فكري لغوي بمشكلة أخلاقية؟ والجواب بالنسبة لريكور أن عمل المترجم تكتنفه مقاومات حميمية *Des résistances intimes* يسببها الخوف وحتى الحقد اتجاه الغريب الذي يمثل تهديدا بالنسبة لهويتنا اللغوية الخاصة.

وللتخفيف من وطأة هذه المقاومة، يجب اعتبار الترجمة من لغة إلى أخرى مجرد لقاء مع الآخر *une rencontre avec l'autre* غايته التواصل الإنساني (Une communication interhumaine) الذي يستقبلهما معا، رغم اختلاف هويتهما.

¹ . ديفيد كورنر هوي، الحلقة النقدية: الأدب والتاريخ والهرمنوطيقا الفلسفية، ترجمة خالدة حامد، بغداد: منشورات الجمل، 2007، ص98.

² Jean Grondin, L'Herméneutique, op.cit.p 86.

³ Ibid.p85.

⁴ Paul Ricœur, le paradigme de la traduction, dans sur la traduction, Paris, Bayard, 2004.

عندها يصبح الوفاء في الترجمة علامة تدل على احترام الآخر، فالمترجم يحاول تقريب المؤلف من القارئ من جهة وتقريب القارئ من المؤلف من جهة أخرى، فهو إذن يخدم سيدين: الغريب في غرابته، والقارئ في رغبته وفضوله المعرفي، فالمترجم يمارس ما أسماه بول ريكور ب: الضيافة اللغوية « L'hospitalité langagière » والتي تعني استمتاع المترجم بالسكن في لغة الآخر على أن يستمتع أيضا باستقبال كلمة الغريب في بيته الخاص.¹

لذا يجب أن نحافظ على ما هو خاص كحفاظنا على ما هو غريب، فالترجمة الجيدة هي التي تهدف إلى التكافؤ بدون هوية خاصة² (Une équivalence sans identité) ذلك أن بول ريكور يدعو إلى الأخوة العالمية³ (La fraternité universelle) رغم كل المفارقات كدعوة كانط إلى المواطنة العالمية.

3- الترجمة لدى أنطوان برمان.

عالم أنطوان برمان مسألة الترجمة في كتابه: تجربة الغريب، وانصبت هذه المعالجة على تأسيس ما أسماه الترجمات التي تقوم عنده على مفهومين أساسيين هما: "التجربة"، و"التأمل".

1- التجربة: يرى برمان أن الترجمة من حيث طبيعتها هي تجربة، فالمترجم يكابد ويعاني التعارضات التي تتناول مجال الترجمة، مثل التعارض بين اختلاف اللغات وتشابهها، والتعارض بين قابليتها للترجمة وعدم قابليتها لها والتعارض بين استرجاع المعنى واستنساخ المبنى.

2- التأمل: يقول برمان بأن الترجمات هي: "تأمل الترجمة في ذاتها انطلاقا من طبيعتها التجريبية"⁴ مبيّنا كيف أن التأمل ليس إلا انعكاسا للتجربة على نفسها انعكاسا يتم بواسطة اللغة الطبيعية، وكيف أن الترجمة لا تستغني عن هذا التأمل ولو أنها قد تستغني عن التنظير.

ويذهب برمان إلى أن من مهام الترجمات مهمتين أساسيتين وهما أخلاقيات الترجمة وميتافيزيقا الترجمة، ولا يخفى على أحد طابعهما الفلسفي، وتنقسم أخلاقيات الترجمة إلى قسمين:

الأخلاقيات الإيجابية والتي يُنظر فيها في فضائل المترجم من الأمانة والصحة اعترافا من المترجم بوجود الغير واحتضانه لقيمه الحية، ولا تحقق للأمانة والصحة إلا بأداء الصورة اللفظية للأصل

¹ Ibid.p 19 – 20.

² Ibid.p61.

³ Ibid.p62.

⁴ Antoine Berman, la traduction et ses discours, Meta : journal des traducteurs , Volume 34, numéro 4, décembre 1989, p. 672-679.

الذي وضعه الغير، أي بالتزام الحرفية في نقله، فتكون الغاية الأخلاقية للمترجم هي استقبال هذه الحرفية الخاصة¹.

الأخلاقيات السلبية ويُنظر فيها في القيم الفكرية والأدبية التي تحمل المترجم على ترك توجيهه الخُلقي، ولا شيء يصرف المترجم عن هذا التوجه مثل القيم التي تؤدي إلى محو آثار الوجود الأجنبي – الغير – من الأعمال المنقولة بحجة تحسينها أو تكييفها أو تطبيعها². أما ميتافيزيقا الترجمة فهي تتعلق بتوجه المترجم إلى تجاوز تعدد وتفرق اللغات الطبيعية، طلبا للغة الحقّة التي توجد في الأفق البعيد لكل لغة، متأثرا بفكرة اللغة الخالصة للناقد والمترجم الألماني "والتر بنيامين"، غير أن برمان يذهب إلى أنّ المترجم يخترن نزعة دفينّة تحمله على ترجمة النصوص قصد تدارك النقص الذي يجده في لغته، معتقدا أنّ اللغات التي يترجم منها تفوق لغته الخاصة في أوصافها³

للمترجمة بحسب برمان إذن أهداف ثلاثة:

- 1-هدف بلاغي أو شعري (Poétique): يتعلق بالشكل أو بالصورة.
- 2-هدف فلسفي (Philosophique): يتعلق بالحقيقة.
- 3-هدف أخلاقي (Ethique): يرتبط بالوفاء والدقة في علاقة الإنسان بذاته، أو اتجاه الآخر، أو نحو العالم.

فالمعيار الذي تتأسس عليه الترجمة في نظر أنطوان برمان هو التأويل الأخلاقي الذي يرتبط بأفق المترجم "L'horizon du traducteur" الذي يعني مجموعة الآليات أو الوسائط المتغيرة اللغوية، والأدبية، والثقافية والتاريخية التي تحدد لدى المترجم كل من فعل الشعور le sentir، وفعل التصرف L'agir، وفعل التفكير le penser⁴، إذن لابد من "التأويل الترجمي" traductive : L'herméneutique التي تتمحور حول : التطبيق « La pratique »، والتحليل « L'analyse »، والنقد la critique في الترجمة، وبالتالي: الترجمة هي تحوّل أو تغيير جذري (Une métamorphose) ، ولهذا يرى برمان أن كينونة الترجمة هي كينونة متحولة ليس كتكرار ثابت أو قار وإنما

¹ طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة 1، الفلسفة والترجمة، ط3، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2008، ص118.

² المرجع نفسه، ص 118.

³ المرجع نفسه، ص 119.

⁴ Antoine Berman, Pour une critique des traductions: John Donne, Paris Ed. Gallimard, 1995, p79.

L'être même de la traduction est un être métamorphosé non pas .
comme une répétition statique mais en tant que rythme dynamique .

إذا كانت ماهية الترجمة هي الانفتاح والحوار، التركيب (Le métissage) واللامركزية le décentrement فهي من جهة أخرى ممزقة بجملة من المتضادات ،الأصل والترجمة L'original et la traduction ، والخاص والغريب Le propre et l'étranger ، والمعنى أو الحرف Le sens ou la lettre ، والوفاء أو الحرية La fidélité ou la liberté . هذه المتناقضات تؤزم "هوية" الترجمة L'identité de la traduction إذن يتوجب على المترجم أن يتسلح بمعرفة التفكير (savoir \penser) أو معرفة آلية للتفكير في الأضداد :الترجمة والأصل « La traduction et l'original » ، والذات والموضوع « Le sujet et l'objet » ، والأنا والآخر « Le même et l'autre »¹

إلا أنّ القول بمراعاة الأمانة -في نظر طه عبد الرحمن- قول لا يسلم من القوادح عند عرضه على التحقيق، إذ يقصد بالأمانة " أداء المنقول على ما هو في أصله "، فهذا المعنى المطلق للأمانة يكاد يكون وهما لا نفع معه، بل أسطورة لا حق فيها، وبيان ذلك من الوجوه الآتية:

- 1- أنّ معايير الأمانة لا اتفاق عليها، فقد تتعلق بالصورة اللفظية والتركيبية للنص أو بمضمونه الدلالي والاستدلالي أو بمقاصد واضع النص أو بظروف المتلقي الأصلي أو بظروف النص التاريخية.
- 2- أنّ الترجمة قبل أن تكون كتابة للنص، هي قراءة له، والقراءة أصلا تأويل، والتأويل لا يجتمع مع الأمانة متى كان مقتضاها هو تمام حفظ الشيء المؤتمن عليه.
- 3- أنّ الأمانة التبليغية تتميز عن الأمانة الأخلاقية على خلاف ما ذهب اليه البعض إذ خلط بينهما عن غير قصد أو طابق بينهما عن قصد فجعل "أخلاقيات الترجمة تقوم على الأمانة".
- وليس الأمر كذلك، فإنّ الأمانة الأخلاقية تقتضي وجود وديعة يجب تسليمها لصاحبها، ولا وديعة ولا تسليم في الأمانة التبليغية، فلم يستودع صاحب النص المترجم صور ألفاظه ولا معانيها، ولم يأتمنه عليها.
- 4- إنّ الأمانة والخيانة لا تتعلقان بلغة الأصل، ولا شأن لهما بلغة النقل فالترجمة الأمانة هي ما كانت موافقة لتمام المنقول، والترجمة الخائنة هي ما كانت مخالفة لتمام المنقول.²

خاتمة

وفي الأخير يمكننا أن نخلص إلى أن الترجمة تسعى لتخلق ذلك المواطن الذي تحدث عنه امبرتو إيكو عندما قال: "إن نموذج الألفية الثالثة هو القديس بول الذي ولد ببلاد فارس من عائلة يهودية تتكلم

¹ V. Bitsoris ,le projet de traductologie d'Antoine Berman, dans M. Broda (dir.),La traduction – poésie à Antoine Berman, Strasbourg: Presse Universitaires de Strasbourg,1999,p66.

² طه عبد الرحمن،فقه الفلسفة مرجع سابق، ص371

اليونانية، وقرأ التوراة بالعبرية، ثم عاش في القدس حيث كان يتكلم الأرمينية، أما جواز سفره فكان رومانيا¹ ولكي يتحقق الحوار بين الذات والآخر بفضل الترجمة، من اللازم أن يكون " الكوني عنصرا مشتركا بينهما، ولكن دون أن يمتلكاه بالطريقة نفسها".

قائمة المراجع

بالعربية

- 1-ديفيد كورنز هوي، الحلقة النقدية (الأدب والتاريخ والهرمنوطيقا الفلسفية)، ديفيد كورنز هوي، ترجمة خالدة حامد، منشورات الجمل، بغداد 2007.
- 2-عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنوطيقا، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2007.
- 3-عبد الجليل الكور، تساؤلات التفلسف وتضليلات اللغوى، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن الطبعة الأولى، 2013.
- 4-عبد الجليل الكور، ملحمة انتفاض اللسان العربي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن الطبعة الأولى، 2013.
- 5-طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة 1، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2008.
- 6-مولود قاسم نايت بلقاسم أصبالية أم انفصالية " مقال نشر في العدد 65\66 من مجلة الأصالة بتاريخ صفر-ربيع الأول 1399هـ\ جانفي-فيفري 1979.

بالفرنسية

- 1- Berman, Antoine, Pour une critique des traductions :John Donne Paris, Ed. Gallimard,1995.
- 2- Berman, Antoine, la traduction et ses discours, Meta: journal des traducteurs, Volume 34, numéro 4, décembre 1989, p. 672-679
- 3- Bourgeois, Annie , Le non sens ont-ils du sens?dans :M.Ballard. la traduction à l'université, ouvrage collectif, Lille : P.U.L,1993.
- 4- Gadamer, Hans- Georg, vérité et méthode, Paris : Edition du Seuil, 1976.
- 5- George, Steiner, Après Babel, traduit par Lucien Lotringer,Paris : Albin Michel,1978.
- 6- Grondin, Jean, L'Herméneutique, 3eme édition Paris : P.U.F,2011.
- 7- Heidegger, Martin, Etre et Temps, traduit par François Verzin , Paris : éd. Gallimard, 1986.
- 8- Heidegger, Martin, Essais et conférences, traduit par André Préau , Paris : éd. Gallimard , 1958.
- 9 – Ricœur, Paul, le paradigme de la traduction, dans :sur la traduction ,Paris, Bayard, 2004.
- 10- Eco Umberto, le nouvel observateur,7janvier 2000
- 11-V. Bitsoris ,le projet de traductologie d'Antoine Berman, dans M. Broda (dir) ,La traduction – poésie à Antoine Berman , Strasbourg :Presse Universitaires de Strasbourg,1999.

¹ Eco Umberto, le nouvel observateur,7janvier 2000